

# مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الخامس عشر

(١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م)



١٥

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

# القابُ الغناء ومصطلحاته

نص مستخرج من كتاب «مسالك الابصار في مسالك الابصار»  
لابت فضل الله العنبري

الكتاب من تأليف  
الأستاذ محمد عبد الوهاب

ما زالت المصطلحات الغنائية القديمة مبهولة العلاقة بالمصطلحات الحديثة المعروفة في عصرنا هذا ، وما زال تطور الموسيقى العربية والشرقية بين القديم والحديث غير معروف لجمهور الباحثين ولا سيما الذين يعنون بالعلاقة بين الغناء والشعر . وأغلب المطلعين على تاريخ الموسيقى والغناء يصرحون بأن ثمة حلقة مفقودة بين أصول الغناء القديم الذي ورد ذكره في الخزانة في كتاب الأغاني وبين الغناء الحديث الذي سميت ضروبه والخزانة باسماء أعجمية أغلبها مأخوذ من اللغة الفارسية .

ولعل من بيان الحقيقة أن نقول إن الباحثين في تاريخ الأدب يقرأون في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني أسماء ومصطلحات في الاصوات التي يوردها فلا يفهمون من حقيقتها شيئاً ولا يدركون صلتها بالغناء العربي الشرقي الحديث ، بل قد يتوهم بعضهم أن هذا الغناء الذي نعرفه اليوم منحدر من اصول أعجمية بسبب المصطلحات والأسماء الأعجمية .

وقد تبيأ لي أن اعثر في أثناء البحث في كتاب ابن فضل الله العمري الموسوم (مسالك الابصار في مسالك الامصار) على نص يربط بين القاب الغناء ومصطلحاته في القديم والحديث وأحسب ان في اذاعته بين الباحثين في تاريخ الأدب وتاريخ الموسيقى فائدة تجعلهم يقفون

على أمر تفرد به صاحب هذا الكتاب ولم يسبقه إليه سابق . ان هذا النص بقي مجهولاً حتى الآن وانه سينير السبيل للبحث في تاريخ الموسيقى والغناء وفي تاريخ الأدب بعض الشيء .

— ١ —

ويبحث هذا النص في مصطلحات الألحان المعروفة في كتب الاقدمين اما ضروب الغناء فقد أوضحها وبين المعاني المقصودة من اسمائها ( اخوان الصفا ) في رسائلهم المشهورة ولعل من تمام الفائدة ان تأتي على ما ذكروه لعل ان يكون في ذلك عون على ايضاح تلك المصطلحات وابرز معانيها بحيث ينتفع بذلك من يبحث في تاريخ الفن من أهل الاختصاص فيه والدراسة به .

وقد فسر اخوان الصفا ضروب الغناء تفسيراً يقوم على علاقتها بالضرب على العود واتخذوا من النقرات التي يخرجها الضارب أساساً لذلك وجعلوا الازمان التي بين كل نقرتين هي الأصل الذي تتنوع به الاضرب بين ثقيل وخفيف وما يتفرع منها .  
قالوا :

إن كل نقرتين من نقرات الاوتار وايقاعات القضبان فلا بد من ان يكون بينهما سكون زماناً طويلاً كان او قصيراً وانه اذا تواترت تلك الاوتار وايقاعات تلك القضبان تواترت أيضاً سكونات بينها . ثم لا تخلو ازمان تلك السكونات من ان تكون مساوية لافزمان تلك الحركات أو تكون اطول منها واذا كانت اقصر منها فالتفق عليه بين اهل هذه الصناعة ان زمان الحركة لا يمكن ان يكون اطول من زمان السكون الذي من جنسه فان كانت ازمان السكونات مساوية لافزمان الحركة في الطول ، ولا يمكن ان يقع في تلك الازمان حركة اخرى ، سميت تلك النغمات عند ذلك العمود الاول وهو الخفيف الذي لا يمكن ان يكون أخف منه لانه ان وقعت في تلك الازمان حركة اخرى صارت نغمتها متصلة بنغمة النقرة التي قبلها والتي بعدها وصار الجميع صوتاً متصلاً . وان كانت ازمان تلك السكونات طولها يتقسطار ما يمكن ان يقع فيها حركة اخرى سميت تلك النغمات العمود الثاني والخفيف الثاني .

« وان كانت ازمان تلك السكونات اطول من هذه بمقدار ما يمكن ان يقع فيها  
حركتان سميت تلك النغمات الثقيل الاول .

وان كانت تلك الازمان اطول من هذه بمقدار ما يمكن ان يقع فيها ثلاث حركات  
سميت تلك النغمات الثقيل الثاني (١) .

والظاهر ان هذه الاضرب كانت هي الأصول التي تفرعت منها الالحان ثم تركيب من  
تلك الالحان الحان أخرى وما يزال الترتيب ممكناً حتى الآن ذلك لان الالحان تقوم على  
استعمال الاصابع في أداء الضروب التي أشرنا اليها . فنثقل الاول مثلاً يمكن ان  
تستخرج الحان باطلاق واحد من الاصابع الثلاثة التي تستخدم في الضرب على اوتار العود  
او تعليقه أو ما الى ذلك .

ومن هنا نستطيع ان نسر قدرة بعض اهل الفن على ابتكار الالحان واستخراج  
الانغام الجديدة فهم يزوجون بين الالعبات ويمزجون بينها مزجاً فنياً يخرج منها  
أشياء جديدة .

— ٢ —

اما كتاب المسالك والممالك فعمله موسوعة وضعها شهاب الدين احمد بن يحيى بن  
فضل الله العمري المولود بدمشق في الثالث من شوال سنة سبع مائة الهجرية . وابن فضل الله  
العمري علم من اعلام الادب والمعرفة في عصره ، فقد كان معروفاً بالابداع في الترميل حتى  
كان يقرن فيه بالقاضي الفاضل ، وكان اعلم الناس بتاريخ المغول من لدن جنكيز خان وكذلك  
ملوك الهند والترك وكان امام وقته في معرفة المسالك والممالك وخطوط الاقاليم والبلدان  
وخواصها وكان ايضاً على جانب من الفقه حتى لقد اذن له العلامة شمس الدين الاصفهاني في  
الافناء على مذهب الشافعي (٢) .

والنسخة التي بين ايدينا نسخة مصورة عن مخطوط محفوظ في مكتبة آيا صوفيا في  
الاستانة وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨ معارف عامة . وقد استكمل

(١) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ١٢٥—١٢٦ ط مطبعة الآداب .

(٢) ذوات الوفيات لابن شاكر ج ١ ص ٧

اجزاءها العلامة احمد زكي باشا رحمة الله عليه وطبع منها الجزء الاول محققاً سنة ١٣٤٢  
الهجرية الموافقة لسنة ١٩٢٤ الميلادية .

والنسخة مكتوبة بقلم معتاد وخطها واضح وفي أول صفحاتها :  
« آيا صوفية كتبخانه سندين <sup>(١)</sup> .

السادس من مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف الامام البارع شهاب الدين  
احمد بن يحيى بن فضل الله العمري عفا الله عنه .  
وتحتها بخط مغاير له :

« برسم خزانة السلطان المالك الملك المؤيد شيخ عز نصره بالجامع الذي أنشأه بباب  
زويله عمرها الله ببقاياه » ثم كتب تحت ذلك العبارة الآتية :

« الحمد لله وقف هذا الجزء وما قبله وما بعده الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، على طلبه  
العلم بالجامع المؤيدي وشرط ان لا يخرج منه » .

وإذا علمنا ان الملك المؤيد من رجال المائتين الثامنة والتاسعة <sup>(٢)</sup> أدركنا ان النسخة مقاربة  
في زمنها لزمن المؤلف اذ هو من رجال المائة الثامنة كما سبق بيان ذلك .

وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب انه وضعه في ايام السلطان محمد بن قلاوون فقال :

« وشرعت فيه في ايام من مآتنا <sup>(٣)</sup> باحسانه وأمنتنا في سلطانه سيدنا ومولانا ومالك

رقابنا السلطان ابن السلطان السيد الكبير الملك الناصر العالم المجاهد المرابط المناغر المؤيد

المنظر ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين وارث الملك

ملك العرب والعجم والترك ... أبي المعالي محمد ابن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي

المنظر قلاوون <sup>(٤)</sup> .

(١) معناها من مكنية آيا صوفية . (٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٨٦ .

(٣) مآته ؛ احتمال مؤونه « الخط »

(٤) مسالك الابصار في ممالك الامصار ج ١ ص ٥ ط احمد زكي باشا .

وقد جعل ابن فضل الله العمري كتابه قسمين بحث في القسم الاول عن الارض وأقالمها وصفاتها وفي القسم الثاني عن سكان الارض .  
وقد تناول في القسم الثاني طوائف الناس من العلماء والفقهاء والأدباء والحكماء بأصنافهم ، وجعل منهم أهل الموسيقى وقد جعل الجزء السادس من كتابه للكلام على هؤلاء ، وعنه نقلنا النص الآتي بعد ، وهو من هذا الجزء بمثابة التمهيد ثم تتبعه تراجم المشاهير من اعلام الموسيقى والغناء .

« بسم الله الرحمن الرحيم ربنا أفرغ علينا صبراً وأعن

وومن يعد<sup>(١)</sup> من الحكماء أهل الموسيقى اذ هو من الطبيعي وقد اتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الجامع وفي كتاب الاماء ومن ذكره ابن باقيا النحوي البغدادي<sup>(٢)</sup> في كتاب المحدث ثم ذيلت ذلك بما نظرت في الكتب والتقطته منها التقاط المراد من السحب وواخيت أهل الجانب الشرقي بأمثاله في الجانب الغربي ومصر وإن لم يطاول المالمسما . وسقت في الجانبين الى ازماننا سسابقة لم آل فيها الجهد وأتيت به<sup>(٣)</sup> على ترتيب ما وقع الاختيار منه وجيت على حكمة الدليل<sup>(٤)</sup> عليه . ومن تأمل ما آتيته ، علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته ، وكبر لده ما جمعته ، وشهد لي بأني لم أقصر وبالفضل لمن اتبعته » .

« ورأيت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في القاب الانعام التي صنعوا فيها الاصوات اختلافاً في الاسماء ، لا في المسميات وكنت<sup>(٥)</sup> وقعت على كتاب ابن باقيا في الاغاني وهو على طريقة القدماء ولم اجد على طريقة المحدثين ما أرجع اليه ولا اتفهم منه . وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر [ الذي ] عرف<sup>(٦)</sup> بابن زادة الدشتي<sup>(٧)</sup> المشرقي عن

(١) في الأصل بعد .

(٢) لم اعثر له على ترجمة ولا لكتابه على ذكر في ما نتهى في من المراجع وكتب الطبعات .

(٣) في الاصل ( و ١ ت ) .

(٤) في الاصل بالدليل .

(٥) في الاصل وكتب .

(٦) ليس هذا في الاصل والسبب في العربي الفصيح بقتضيه وان اتبع الاصل متأخرو المترجمين .

(٧) في الاصل الدشتي . وفي الدرر الكامنة : عمر بن خضر بن جعفر بن زادة الدشتي جمال الدين =

( هذا ليبيته، وهو علم هذا الشأن بالشام، فلجلج ولم يبين غير أنه قال : إنما غيرت التسميات إذ أنشأ التوثي صاحب الارمال الأربعة والاربعين ضرباً ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيوه وكلاهما من أهل ما وراء النهر . وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري <sup>(١)</sup> فجعل يذله على الطريق وهو تارة وتارة <sup>(٢)</sup> فأخر ما انتهى معه إليه أن قال جرت لي هذه الأبيات ثم جعل ينشد بيتاً بيتاً من الأبيات التي فيها اصوات الأول المسماة بمصطلحهم إلى أن ظهر له اتفاق القدماء والمحدثين في المعنى واختلافهم في اللفظ فنزل أسماء المحدثين على أسماء القدماء ورتب في هذا المقال وفعل ما يعجز القرائح ويدق على الافهام <sup>(٣)</sup> ثم لخص فيه ما مضمونه :

اعلم أن الأوائل رحمهم الله رتبوا الحانهم على نوعين ضرب ولحن ، وسميات بأسماء اصطلاحوا عليها ، وجعلوا أنواع الضروب ستة : ثقيل أول وثقيل ثان وخفيف الثقيل ورمل وخفيف الرمل والهزج . وهذا كما يقال إن الضرب فيه تفرقات ثقال وخفاف وخفاف الخفاف . وأما الأصابع فهي الالحان عتدهم وهي <sup>(٤)</sup> ست كذلك المطلق والمعلق والمحمول والمنسرح والمزموم والمجنب . وإذا ضربت ثلاثة في ستة كانت ثمانية عشر ، رجوعاً إلى أن الضرب مع اللحن يختلف مع الثقال والخفاف وخفاف الخفاف فيختلف <sup>(٥)</sup> الصوت مع الضرب بالقوة والضرب فيسمى كل واحد باسم ولهذا يقولون مطلق السبابة والوسطى

سأبو سعيد الكندي للماني كان اجرة قد اصل به ولا كو ثم سقط فقتله وباع اولاده . قدم الشام وكان يعلم فيها الفناء وصنف الكنز المطروب في الدوائر والضروب وأجاد فيه ( الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٣ ص ٢٦٤ ) والصواب « الداسني » نسبة إلى الاكراد الداسنية المشهورين .

(١) هو محمد بن شكر الديري الشافعي الناسخ الدمشقي نسخ الكاثير وكان مقرئاً بالبيع عارفاً بعلم الحرف مشاركاً في علوم اخر مات سنة ٧٥٢ هـ ( الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٣ ص ٤٥٦ ) .

(٢) كذا في الاصل ويبدو ان قد سقط منها ما جعلها بلا معنى .

(٣) في الاصل ( وبدق عنها الامبا ) ولعل الصواب ما أكتناه

(٤) سائد على الاصابع . والاصابع يؤتى .

(٥) في الاصل فتخلف .

والمتنصر والشهادة او مقبوضها ، كل ذلك اشارة منهم الى الالعان المختلفة فسموا كل لحن باسم علم عليه يعرف به لثلا يضل (١) العلم عند التعليم .

وكذلك فعل المتأخرون من الفرس حين سموا هذه الالعان المصطلح عليها في زمتنا وهي الراست والعراق والزيبكفند والاصهبان والزكلا والبزرك والرهوي (٢) والحسيني والمآآه وابو سليك والنوى والعشاق . وآوازاها (٣) وهي النيروز والشهناز والسلك والحجاز والكوست (٤) على اختلاف في هذه التسمية .

فهذه تلك الستة (٥) تضاعفت بحسب التركيب فبلغت ثمانية عشر . فالمطلق هو الراست والمعلق هو العراق والمحمول هو الزيبكفند والمنسرح هو اصهبان والمزموم زكلا والمجنب بزرك .

ثم تركيب الستة الباقية من الستة الاولى فالرهوي من المطلق والمعلق والحسيني من المحمول والمنسرح والمآآه وابو سليك من المزموم والنوى والعشاق من المجنب .

ثم اخذ التركيب النيروز من المطلق والمعلق لاختلاف الضرب ، ثم الشهناز من المحمول والمنسرح (٦) ثم السلك من المزموم والمجنب ثم الزركشي من المحمول والمنسرح والحجاز من المزموم والكوست من المجنب .

اما الماخوري والمحضور والمشكول فتأخر تسميته مع ستأخري او ايلهم وكذلك غيرها ، وتركيبها كتركيب الشاذ عند المتأخرين والله اعلم .

(١) في الاصل يصل

(٢) في الاصل الراهوي وقد أثبتتها بعد اسطر بلا ألف ولعل ذلك هو الصواب ، منسوبة إلى الرها

من مدن الجزيرة .

(٣) آواز بالفارسية معناه الغناء ولعل الستة المذكورة بعد مشتقة من الستة المذكورة وهي اصول الألمان

(٤) يعرف اليوم بالكوست . هذه خمسة وقد ذكر السادس بعد وغفل عنه هنا وهو الزركشي .

(٥) في الاصل الست

(٦) في الاصل للمنسرح وهو تصحيف .